قراءة في اتجاهات العقيدة العسكرية (الاسرائيلية) الجديدة

العميد الركن د. أمين حطيط(*)
عسكري متقاعد وأكاديمي وباحث من لبنان

(*) باحث في الشؤون الاستراتيجية.

تمهيد

أرست اسرائيل كيانها منذ انشائها على أرض فلسطين التي اغتصبتها في العام 1948، على مبدأ «القوة الفاعلة» القادرة على تحقيق الاهداف الاستراتيجية والعملانية التي تعني الكيان الصهيوني، الذي وفي ظل انعدام مشروعيته بأي وجه من الوجوه القانونية، عمد إلى القوة لتشكل المرتكز لبقاء اسرائيل واستمرارها بتثبيت وجودها ثم التوسع والهيمنة على المحيط، متمسكاً بقاعدة «حق القوة»، في مواجهة مبدأ «قوة الحق» الذي تفتقر إليه.

وقد ترجمت اسرائيل خيارها هذا معتمدة استراتيجية بلورتها في عقيدة عسكرية، أنشئت عليها جيشها الذي ارادته قوياً قادراً على انجاز المهام المطلوبة منه، تثبيتاً للوجود في فلسطين كقاعدة انطلاق، وبسطاً للسيطرة والنفوذ، وصولاً إلى ما جعلته اسرائيل هدفاً استراتيجياً أعلى، وهو الهيمنة القيادية على كامل منطقة الشرق الاوسط، تحت عنوان ما اطلقه شمعون بيرس «الشرق الاوسط الجديد»، القائم على العقل والقرار الاسرائيلي من جهة، والمال والثروات واليد العاملة العربية من جهة أخرى.

الهيمنة القيادية على كامل منطقة الشرق الاوسط، تحت عنوان ما اطلقه شمعون بيرس «الشرق الاوسط الجديد»

وقد بدا لإسرائيل إن طموحها بهذا الشرق الاوسط قابل للتحقق، خاصة في أواخر الثمانينات بعد اتفاقية كامب دافيد، التي اخرجت مصر من حلبة الصراع العربي الاسرائيلي، ثم تفكك الاتحاد السوفياتي وتصدي أميركا منفردة ـ راعية اسرائيل وحاضنتها ـ لقيادة العالم.

لكن هذا الحلم الاسرائيلي اصطدم بواقع فرض إعادة النظر به طبيعة وتوقيتا، صدمة انتجتها هزيمة اسرائيل في جنوب لبنان، حيث اضطر الجيش الاسرائيلي إلى اخلاء معظم مناطق احتلاله هناك، بنتيجة الضغط الذي مارسته المقاومة اللبنانية التي عملت لمدة 18 سنة، تمكنت في نهايتها من طرد المحتل، وصنع أول هزيمة تامة كاملة للجيش الاسرائيلي منذ قيام الكيان.

لم تستطع اسرائيل أن تبتلع هزيمتها في لبنان في العام 2000، وراحت تعمل بشكل دؤوب على أكثر من خط وسياسة، من أجل محاصرة المقاومة التي هزمتها، والتي تمثلت بصورة خاصة بالمقاومة الإسلامية التي نظمها وقادها حزب الله (اللبناني)، وكانت تهدف في سعيها هذا إلى شيطنة هذه المقاومة وعزلها واعتبارها منظمة ارهابية، يجب تعقبها ملاحقة ومعاقبة وصولاً إلى نزع سلاحها وتفكيكها، واجتثاث أصل فكرة المقاومة من النفوس، للحؤول دون انتشارها في المحيط وفي الامة، لما في هذا الانتشار من تعقيد لمهمة اسرائيل والغرب في سياساتهم الاستعارية في الشرق الاوسط.

ولكن ورغم كل ما بذل من جهود، فشلت المناورات السياسية الاجنبية بقيادة صهيو ـ أميركية، فشلت في تحقيق الغرض الاسرائيلي تجاه المقاومة الإسلامية رغم العمل الدؤوب لنيف وست سنوات، عندها قررت اسرائيل وبتوجيه أميركي تنفيذ عملية عسكرية واسعة، لتدمير المقاومة في لبنان والانتقام لهزيمة ال2000، وشنت الحرب في 12 تموز 2006 مستغلة بيئة سياسة لبنانية تلائم العدوان بعد أن كانت انتجت أثر قتل رفيق الحريري[1]، بيئة تميزت بتبعية الحكومة اللبنانية آنذاك للقرار الأميركي.

(1) رفيق الحريري هو نائب لبناني و رئيس حكومة لبنان السابق يحمل الجنسية السعودية إلى جانب الجنسية اللبنانية و يعتبر من اهم منفذي لسياسية الغربية و السعودية في لبنان.

دخلت اسرائيل الميدان فلم يستجب لحساباتها، ومرة أخرى تجرعت كاس الهزيمة على يد حزب الله، حيث فشل جيشها في حرب شاملة طيلة 33 يوماً، زجت فيها كل ما يمكن استعماله في الميدان اللبناني من سلاح وقدرات وقوى تقليدية وغير تقليدية، فشلت في تحقيق أهداف الحرب وتكبدت خسائر جسيمة في أكثر من وجه وعنوان، كان من أهمها تآكل هيبتها الردعية وتصدع العقيدة العسكرية الاسرائيلية، التي عمل الجيش الاسرائيلي بموجبها منذ العام 1948 أي تاريخ انشائه.

بعد حرب 2006 دخلت القيادة الاسرائيلية في دوامة مرهقة، سعياً لترميم العقيدة العسكرية وتطويرها، بما يناسب ما أستجد من متغيرات وما ظهر من أخطار جدية في حرب لبنان الثانية ـ كما اطلقت اسرائيل نفسها على عدوانها على لبنان في ذاك العام ـ، وانكبت اللجان العسكرية ومراكز الدراسات الاسرائيلية على البحث في هذا الشأن الذي أعطي الأهمية القصوى، باعتباره لصيقاً بمستقبل اسرائيل وبقائها، وقد تمكنت الدراسات تلك إلى مقاربة مركبة اعتمد بعضها وسمح بالإعلان عنه، وبقي البعض الأخر منها عرضة للأخذ والرد قبل الاقرار النهائي به، مع تسريب مقاربات معينة تعتمد فيها جزئيات من العقيدة الجديدة بشكل مؤقت يخضع للاختبار حتى تتشكل القناعة النهائية حوله.

أن عقيدة اسرائيل العسكرية الاساسية سقطت بمعظم عناصرها، بعد أن ظهر قصورها عن تحقيق ما تصبو إليه من جيشها

وعلى ضوء ذلك يمكن القول اليوم: أن عقيدة اسرائيل العسكرية الاساسية سقطت بمعظم عناصرها، بعد أن ظهر قصورها عن تحقيق ما تصبو إليه من جيشها، قصور تأكد في جبل عامل في لبنان، حيث حول مقاتلو المقاومة الإسلامية القوة الاسرائيلية من «القوة القادرة» إلى «القوة العاجزة»، الأمر الذي فرض عليها اعتماد عقيدة عسكرية جديدة، تتوخى منها أن تخرج تلك القوة من دائرة العجز وتعيدها إلى دائرة الفعل، فما هي تلك العقيدة الجديدة. هذا ما نحاول بحثه في هذه الدراسة.

أولاً: لماذا تمت مراجعة العقيدة العسكرية الاسرائيلية؟

1. الاسس العامة لتبني العقيدة العسكرية

قبل أن نخوض في تشريح العقيدة العسكرية التي اعتمدتها اسرائيل منذ انشائها وحتى سقوط العناصر الاساسية فيها في العام 2006، نرى من الفائدة بمكان أن نذكر بالأساسيات التي تبنى عليها العقيدة العسكرية ـ أي عقيدة عسكرية ـ لجيش ما. وفي هذا السياق وانطلاقاً مما استقر عليه العلم العسكري والاستراتيجي واعتمده المفكرون وفقهاء الموضوع هذا، فأننا نذكر بالركائز الخمسة التي تبنى عليها العقيدة العسكرية، وهي:

1) تحديد الخطر ومصدر التهديد الفعلي، الذي يواجه الوجود والمصالح.

2) اتخاذ القرار بالمواجهة أو عدمها وبلورة ارادة القتال أو التسليم والاذعان.

3) تحديد الهدف من المواجهة ـ أن اعتمدت ـ مع تحديد درجة التضحية المقبولة ومداها.

4) تحديد القوى العسكرية اللازمة في المواجهة المقررة من حيث الطبيعة والحجم ونوعية التدريب وأسلوب القتال.

5) تحديد الاحتياجات والوسائل والمادية واللوجستية اللازمة للقوى في مهامها.

ويكون على المعني بصياغة عقيدة عسكرية لجيش ما، أن يواجه هذه الأسس ويضع الاجابات العملية لكل سؤال تطرحه، ثم يكون عليه أن يجري تعديلاً لها، يبادر إليه في كل مرة يحدث فيها تغيير، أو تبدل لعنصر أو أكثر من العناصر الخمسة المذكورة، عملاً بالقاعدة الذهبية أن لكل دولة جيش سياستها، والجيش تحدد طبيعته أصلاً بعقيدته العسكرية التي تكون بمثابة الهوية له، لأن العقيدة كما اصبح واضحاً، هي مجمل المبادئ والمفاهيم والاساليب التي تحدد بموجبها طبيعة الجيش ووظيفته وطرق عمله، وحجم قدراته وامكاناته.

الجيش تحدد طبيعته أصلاً بعقيدته العسكرية التي تكون بمثابة الهوية له

2. العقيدة العسكرية الاسرائيلية الاساسية

انطلاقاً من المفاهيم المتقدمة الذكر، اعتمدت اسرائيل عقيدة عسكرية أرستها على اساس أنها كيان مهدد بخطر وجودي يمثله العرب المحيطين بها، وهم يعدون جيوشاً «لاقتلاعها ورميها في البحر»، وقررت مواجهة هذا الخطر بحشد اقصى ما يمكن من قوى عسكرية متطورة، مع العمل على مراقبة العدو والحؤول دون امتلاكه القوة العسكرية التي تحقق له تفوقاً أو توازناً عسكرياً واستراتيجياً معها، وقد عملت اسرائيل بفكرة الحرب الاستباقية أو الوقائية، التي تتيح لها معاجلة الخصم بحرب في كل مرة يظهر فيها تعاظماً في قوته، حرب تدمر قدراته وتعيده اشواط كثيرة إلى الخلف، وكان أجلى تنفيذ لنظريتها تلك في العام 1967، حيث دمرت معظم قدرات جيوش مصر والاردن وسورية، واحتلت في 6 ايام مساحات من الارض العربية في تلك البلدان، تزيد عن ثلاثة اضعاف المساحة التي تشغلها في فلسطين المحتلة.

لقد اعتنت اسرائيل بجيشها الذي نظمته تحت تسمية «جيش الدفاع الاسرائيلي» (تساحال)، وصاغت له عقيدة قتالية مبنية على اساس نظرية «الردع المتصاعد» أو «الردع التراكمي» التي ارساها دافيد بن غوريون[2]، والتي تترجم بامتلاك القوة الرادعة للعدو عن القيام بأي هجوم ضد اسرائيل، كما وتدفعه إلى الاستسلام والامتناع عن الدفاع الجدي في حال مبادرتها هي للهجوم، ليقينه بأنه خاسر لا محاله، وأن الأفضل له هو تقصير أمد المعركة، وتحديد الخسائر لأن نتيجة الحرب محسومة لصالح اسرائيل، التي تدفع إلى الميدان «جيشاً لا يقهر» كما دأب الإعلامالخاضع للصهيونية على تداوله، حتى وتناولته ايضاً وسائل الإعلامالعربية بشكل متفلت من البحث في مخاطر ترويج العبارة.

(2) رئيس وزراء اسرائيل الاول ولمدة 30 عام ويطلق عليه احيانا اسم مؤسس اسرائيل وهو على الاقل احد المؤسسين لها .

عقيدة قتالية مبنية على اساس نظرية «الردع المتصاعد» أو «الردع التراكمي» التي ارساها دافيد بن غوريون

ومن أجل امتلاك قوة الردع هذه، التي هي الصلب والاساس في الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية، اعتمدت العقيدة العسكرية الاسرائيلية ونشئ الجيش الاسرائيلي على اساسها، وخاض حروبه بمقتضاها وحقق الانتصارات الباهرة بموجبها، إلى الحد الذي اتاح للمنظرين والباحثين أن يسلموا بالمقولة الاسرائيلية بأن «جيش الدفاع الاسرائيلي جيش لا يقهر»، عقيدة تقوم على العناصر الرئيسية التالية:

- المحافظة على التفوق العسكري والاستراتيجي الدائم على الخصم، واعداد وتجهيز القوة العسكرية الفائقة القدرة والتطور التكنولوجي.
- اعتماد الهجوم اساساً في المواجهة وتنفيذه وفقاً لأساليب قتال مرنة، تمكن من الانتقال السريع من نوع إلى أخر، مع التركيز الاساسي على أن الخصم في حقيقته، هو جيش تقليدي يقاتل بأساليب تقليدية.
- اعتماد مبدأ الحرب الاستباقية، والحرب الوقائية، وشن الحرب وفقاً لقرار اسرائيل المطمئنة لنتائج المواجهة والمحسومة لصالحها.
- اعتماد الذراع النارية الطويلة (الارتكاز على الطيران)، لتدمير قوى الخصم خارج ميدان المعركة، من أجل تسهيل عمل قوى البر.
- اعتماد المناورة العسكرية المركبة من الثقل الناري المدمر، والخرق البري السريع المتبوع بعمليات التطهير المتدرج والمترافق مع حرب نفسية، لنشر الرعب في صفوف العدو ومجتمعه.

- شن الحرب الخاطفة وتنفيذ الحسم السريع وبالتوقيت المناسب لإسرائيل.
- نقل المعركة إلى أرض الخصم بأسرع ما يمكن، حيث لا تكون الحرب إلا على أرضه، لإبقاء المجتمع الصهيوني في مأمن من النار وقادر على ممارسة حياته العادية.
- عدم القتال على جبهات متعددة وتركيز الجهد على جبهة واحدة، وتثبيت الجبهات الأخرى.
- الارتباط الاستراتيجي الوثيق بدولة عظمى، للاتكاء عليها عسكرياً وسياسياً من أجل منع وقوع اسرائيل في الهزيمة الميدانية التي تترجم وترسخ سياسياً.

3. سقوط بعض عناصر العقيدة الاسرائيلية الاساسية

كان التطبيق النموذجي للعقيدة العسكرية الاسرائيلية في حزيران العام 1967، حيث اتاحت الظروف لإسرائيل العمل بكل مندرجات هذه العقيدة والنجاح في كل وجوهها، وظهر تفوق عسكري اسرائيلي على جميع الجيوش العربية التي دخلت الحرب، ونفذت اسرائيل هجوماً مباغتاً في سياق الحرب الاستباقية، التي تحترفها وعمدت فيه إلى تدمير الطيران المصري في الساعات الأولى للحرب، ثم عملت على الجبهات المصرية والاردنية والسورية بشكل متتابع، تثبت جبهتين وتحسم على الجبهة الثالثة، وحسمت الحرب في ستة أيام دون أن يشعر مجتمع العدو بنار الميدان، حرب اتكأت فيها اسرائيل سياسياً ومعنوياً حتى وعسكرياً على الولايات المتحدة الأميركية اساساً، ومعها إلى حد ما بريطانيا.

لكن الأمر اختلف في العام 1973 إلى حد ما، حيث اهتزت بعض عناصر تلك العقيدة، أنما تمكنت اسرائيل من التعويض فيها ثم ترميمها واختبارها مجدداً في العام 1982، واطمأنت إلى نجاعتها، فعادت إلى التمسك بها إلى أن كانت حرب 2006، وهنا كانت الكارثة الاستراتيجية والعسكرية التي حلت بإسرائيل وبعقيدتها العسكرية، إلى الحد الذي إلزمها بإعادة النظر كلياً بها، ومراجعة العناصر الاساسية فيها، وصولاً إلى بلورة عقيدة عسكرية تكاد تكون جديدة في أكثر تلك العناصر. وقد كان الفشل متحققاً بصورة خاصة في النقاط التالية:

1) عجز الطيران عن تحقيق الاهداف العسكرية والاستراتيجية لعملياته، رغم أنه نفذ كل ما طلب منه ودمر، كل ما كان أعد في بنك الاهداف المحضر مسبقاً.

عجزت القوى الاسرائيلية عن المناورة المتدرجة، واخفقت في عمليات الخرق السريع والتطهير المتدرج

2) عجزت القوى الاسرائيلية عن المناورة المتدرجة، واخفقت في عمليات الخرق السريع والتطهير المتدرج، ما جعلها تتخبط في مستنقع ناري حوّله المقاومون إلى مناطق اشتباك دائمة ومنزلقة.

3) عجزت اسرائيل عن حسم الحرب في توقيتها، كما عجزت عن تحقيق أهداف الحرب اساساً.

4) عجزت اسرائيل عن منع دخول نار الحرب إلى الارض التي تغتصبها في فلسطين، وغطت نار المقاومة الثلث الشمالي منها.

5) رغم كل ما قامت به اسرائيل بذاتها أو بمساعدة خارجية من دول أو أمم متحدة، لم تستطع أن تمنع الخصم من امتلاك قدرات عسكرية، تهدم الفجوة إلى حد ما في الميدان التكنولوجي العسكري.

تآكل قوة الردع الاسرائيلية في مواجهة عدو أو تشكيلات عسكرية غير تقليدية

6) والأهم من كل ذلك هو سقوط الهيبة العسكرية، وتآكل قوة الردع الاسرائيلية في مواجهة عدو أو تشكيلات عسكرية غير تقليدية، إلى الحد الذي بات يوصف من قبل الاستراتيجيين، بأنه الخسارة الأخطر في كل الحرب.

على ضوء ما تقدم كانت مهمة مراكز الدراسات والبحوث العسكرية الاسرائيلية، مرتكزة على بلورة عقيدة جديدة، تعالج ما ظهر من وهن واخفاق في بعض جوانب العقيدة القديمة.

ثانياً: العناصر الجديدة في العقيدة العسكرية الاسرائيلية

4. ترميم الردع والتكيف مع المتغيرات بسد الثغرات.

تستمر اسرائيل بالتمسك بمبدأ «الردع المجدي» اساساً لعقيدتها العسكرية، وتعمل على ترميمه بعد التآكل الذي لحق به في مواجهاتها الأخيرة، وبعد المتغيرات التي حصلت في الميدان وعلى صعيد طبيعة الخصم وقدراته. وقد

لجأت اسرائيل حتى الآن إلى تدابير ملفتة يمكن التوقف عندها، كونها تنبئ بأن عناصر جديدة ادخلت على العقيدة العسكرية كالتالي:

1) تغيير في النظرة للعدو المحتمل وطبيعته... والاتجاه إلى اعتماد «**الجيش الخفيف الذكي**».

لم تعد الجيوش التقليدية هي العدو الذي تخشاه اسرائيل وتدرب جيشها على قتاله بشكل اساسي

لم تعد الجيوش التقليدية هي العدو الذي تخشاه اسرائيل وتدرب جيشها على قتاله بشكل اساسي، خاصة بعد أن فككت أو حيدت أو اشغلت الجيوش العربية التي دخلت معها في مواجهات منذ العام 1948. فالجيش المصري مقيد بمعاهدة السلام ولم يعد بعد إعادة تنظيمه وفقاً للمعاهدة يشكل خطراً استراتيجياً على اسرائيل، والأمر ذاته ينطبق على الجيش الاردني، إما الجيش العراقي فقد تم حله بشكل نهائي ولا تتوقع اسرائيل في المدى المنظور إعادة تنظيمه بشكل يهددها. ويبقى الجيش السوري المنشغل حاليا في حرب دفاعية تستنزف قدراته وهو بحاجة إلى وقت ليس بالقصير ـ حسب رأي اسرائيل ـ من أجل استعادة الطاقات التي تعيده مؤثراً في الميدان. وفي المعلن من اعدائها الجديين (ايران)، لا تتوقع استخدامها لجيش تقليدي لقتالها التي لا تحتمل اسرائيل حاضراً وصول جيش بري تقليدي منها لقتالها.

أن التهديد العسكري الجدي الذي تواجهه بات يتمثل بحركات المقاومة التي يمثل حزب الله في لبنان نموذجها المثالي

على ضوء ذلك ترى اسرائيل أن التهديد العسكري الجدي الذي تواجهه بات يتمثل بحركات المقاومة التي يمثل حزب الله في لبنان نموذجها المثالي، دون أن تسقط من الاعتبار بشكل كلي احتمال الحرب التقليدية مع جيش كالجيش السوري يمكن أن يتعافى ويعود إلى الميدان، أو الجيش المصري في حال حصول متغيرات دولية أو اقليمية تعيد هذا الجيش إلى الميدان.

من اجل ذلك تتجه اسرائيل إلى إعادة تنظيم جيشها على اسس جديدة تمكنه من القتال وفقاً لأي من الاحتمالين مع افضلية الاعداد لقتال «القوى غير التقليدية» وخوض الحروب اللا متماثلة. إما الصيغة الجديدة فهي «الجيش الخفيف الذكي». وهذا ما بدأت اسرائيل تلوح به وتعد نفسها لتنفيذه على اساس أنها لم تعد بحاجة إلى الحجم القائم حالياً من قوة الصدم والسلاح

المدرع والعتاد الثقيل، وحاجتها باتت أكبر إلى وحدات خاصة خفيفة سريعة الحركة، مدعومة بقدرات استخبارية ونارية عالية، ومنشأة على استعمال أعلى درجات التقنية الحديثة المتطورة، وقد بدأت بتنفيذ ذلك عبر زيادة عدد الافواج من الوحدات الخاصة العالية المستوى والتدريب.

2) التحول في وظيفة الطيران من «سلاح الحسم»، إلى «سلاح التدمير الاستباقي والانتقام العقابي المتواصل».

قد يكون ابلغ درس تلقته اسرائيل في حرب 2006 في مجال دور الاسلحة في الميدان، وبما نقض نتائج حرب 1967، هو ما تعلق بدور سلاح الجو، فقد كان الطيران الاسرائيلي سلاح الحسم وتحديد نتائج الحرب من الساعات الاولى، لكن تبين لإسرائيل أن هذا السلاح ومع عدو يعتمد اسلوب حرب العصابات ويتقن التخفي واستعمال الارض، هو سلاح محدود الأثر على نتائج الحرب.

وهنا كان نقاش بين المفكرين والمنظرين العسكريين الاسرائيليين، حول تحديد السلاح الأهم لحسم المعركة، وطرحت فكرة اسلحة المناورة في البر (المشاة والمدرعات)، وكادت الفكرة تتجه إلى التبني لولا العقبة التي واجهتها، انطلاقاً من خشية اسرائيل من حجم الخسائر في الارواح، وهو ثمن لا تستطيع احتماله. وعلى ضوء ذلك ومع صعوبة اعتماد المشاة اولاً، ومعها المدرعات أو المدرعات اولاً وتحميها المشاة، اضطر صاحب القرار إلى الابقاء على سلاح الجو سلاحاً متقدماً، وذو الافضلية الأولى مع تغيير في وظيفته المعول عليه، حيث تحول إلى وظيفة جديدة هي التدمير الاستباقي، وتقديم لهب النار المستمرة وممارسة سياسة الانتقام العقابي، دون أن ينتظر منه حسم المعركة.

2) تراجع الاهتمام بالعمل البري والاجتياح المباشر، والاتجاه إلى تكثيف العمل بالنار والعمليات الخاصة خلف الخطوط.

بعد أن كانت اسرائيل ترى في الحرب البرية «نزهة» تحقق فيها الانجاز المطلوب، حرب تخوضها بعد أن يكون الطيران «سحق مصادر قوة العدو» وقواعده النارية، بعد كل ذلك ومع تغير طبيعة العدو من جيش تقليدي يعمل على خطوط ووفقاً لاتجاهات جهد رئيسية وثانوية، إلى عدو غير تقليدي يعمل دون أن تعنيه الجغرافية أو تقيده الخطوط فيها، وقادر على المشاغلة

الدائمة والحركة المستمرة في الميدان بما يحول دون استقرار القوى المهاجمة في مناطق احتلالها التي تتحول إلى مناطق اشتباك دائم، ما يؤدي إلى استنزاف تلك القوى ويجعلها تدفع اثمان باهضة لاحتلالها في سياق سعي المقاومة دائماً إلى «رفع كلفة الاحتلال».

لأجل ذلك يبدو أن هناك تحول في العقيدة العسكرية الاسرائيلية، يسقط مبدأ الاحتلال والسيطرة على الارض بالمكوث المادي المباشر للقوى المسلحة عليها، والاتجاه إلى الاعتماد بشكل أكبر على القدرات النارية التدميرية والارض المحروقة، ولهذا أطلق المنظرون الاستراتيجيون والعسكريون الاسرائيليون «نظرية الضاحية»، قياساً على ما تم في الضاحية الجنوبية لبيروت في لبنان في العام 2006، من تدمير شبه كامل بقصد القضاء على منظومة القيادة والسيطرة لحزب الله، ومعاقبة البيئة الحاضنة له.

أطلق المنظرون الاستراتيجيون والعسكريون الاسرائيليون «نظرية الضاحية»، قياساً على ما تم في الضاحية الجنوبية لبيروت في لبنان في العام 2006

3) التحول في النظرة إلى ميدان المعركة وتنفيذها على أرض الخصم، والاتجاه إلى تأمين المظلة الدفاعية العملية الفاعلة لحماية الجبهة الداخلية.

في الحروب والمواجهات السابقة للعام 2006، كانت بعض القذائف والصواريخ التي تطلقها الجيوش العربية، تتجاوز أرض المعركة لتصل إلى نقطة هنا أو هناك في فلسطين المحتلة، ولكنها لم تكن لتحدث تهديداً جدياً لأمن المجتمع الصهيوني، خاصة وأن الطيران الاسرائيلي كان يسارع إلى معالجة مصادر النيران، بالسرعة القصوى التي يسقط فيها أصل التهديد، وعندما لجأت المقاومة الفلسطينية إلى استعمال صواريخ الغراد والكاتوشيا، ظلت هذه الصواريخ تحت سقف محدود الأثر خاصة، وأنها لم تكن ذات مدى يحملها إلا عمق الكيان.

لكن هذا الأمر تغير في العقد الأخير، ووجد ترجمة حسية له في حرب 2006 في لبنان ثم في مواجهات غزة خاصة في العام 2012، حيث أن المقاومة تمكنت من لبنان من الوصول بصواريخها الدقيقة الاصابة والمؤثرة على الهدف إلى مسافة تتجاوز ال 100 كلم، وفرضت على أكثر من مليون اسرائيلي التحرك خارج مكان اقامتهم في فلسطين المحتلة، كما أن صواريخ «الجهاد الإسلامي» بلغت من غزة مدينة تل ابيب.

ثم راكمت المقاومة ومحور المقاومة ما تملكه من قدرات صاروخية نارية، إلى الحد الذي حققت فيه تهديداً جدياً لكل بقعة ومنطقة في فلسطين المحتلة، مسقطة بذلك مقولة الحرب على أرض الخصم، لتنشئ مكانها معادلة جديدة «النار تطال كل الكيان».

وقد فرض هذا المتغير الجديد تحدياً جدياً يواجه اسرائيل، حملها على البحث عن حل له تحت عنوان «تحقيق مناعة المجتمع المدني»[3]، ما ألزم الجيش الاسرائيلي بالتحول إلى البحث عن وسائل حمائية، لم يكن بحاجة إليها اصلاً قبل المتغير الطارئ. وهو رغم كل ما قام به من تدابير الحماية السلبية، وتجهيز منظومات صاروخية معترضة للصواريخ من قبيل «القبة الفولاذية» و«مقلاع داوود» و«معطف الريح»، لم يتوصل إلى تحقيق الامان المطلوب، مما جعل قرار اسرائيل بالحرب مقيداً إلى حد بعيد، وهنا أمكن القول أن اسرائيل في الوضع الجديد وفي عقيدتها العسكرية الجديدة، خسرت حرية القرار بالحرب، أو فقدت عنصر الطمأنينة والامان في شن الحروب. وبهذا حدث التغيير التوصيفي للعقيدة الاسرائيلية ما جعلها تتزحزح عن التوصيف الهجومي باتجاه التوصيف الدفاعي.

(3) يقصد منها تأمين الحماية والدفاع المباشر عن المجتمع، وتمكينه من العمل والانتاج في ظل الحرب والنار.

أن اسرائيل في الوضع الجديد وفي عقيدتها العسكرية الجديدة، خسرت حرية القرار بالحرب

4) سقوط مقولة الحرب على جبهة واحدة، والتحول إلى فرضية «الحرب تشمل كل الكيان».

لقد تغيرت طبيعة مصادر التهديد وفقاً لما تراه اسرائيل، من تهديد على الخطوط والجبهات (الشمالية والجنوبية والوسطى إلى حد ما)، إلى تهديد خارج الخطوط وعابر للحدود لا يشمل بشكل جدي مباشر تهديداً باجتياح بري من قبل جيش تقليدي. والتهديد المستجد هو ذو طبيعة نارية، قادر على أن يزج في المواجهة والنار كامل الكيان الاسرائيلي[4]، هذا دون استبعاد عمليات التسلل بمجموعات قتالية مناسبة، للعمل خلف الخطوط سواء من قبل الوحدات الخاصة للجيوش المعادية، التي لم توقع دولها بعد اتفاقيات سلام، أو التي قد تتراجع عن تلك الاتفاقيات، أو من قبل خلايا المقاومة المعدة لمثل هذه المهمات. وفي كل الاحوال نجد أن اسرائيل باتت تدرك أنها فقدت التحكم بمسار المعركة مكاناً وزماناً، وهذا ما فرض التغيير في النهج والعقيدة القتالية.

(4) يؤكد المسؤولون العسكريون الاسرائيليون أن لديهم من المعلومات، ما يجعلهم يعتقدون بأن اسرائيل يمكن أن تتعرض لقصف صاروخي يومي يشمل كل اراضيها بمعدل ألف صاروخ كل 24 ساعة تشارك فيه ايران وسورية وحزب الله في أطار حرب شاملة متعددة الجبهات. (مواقف تداولها الإعلامالاسرائيلي في ايلول 2013، نقلاً عن قيادات عسكرية اساسية منها قائد المنطقة الشمالية في اسرائيل).

أن اسرائيل باتت تدرك أنها فقدت التحكم بمسار المعركة مكاناً وزماناً

5) سقوط مقولة الحرب الخاطفة والحاسمة، والاتجاه إلى «العملية القصيرة ما أمكن» دون حسم.

أدركت اسرائيل بأن التغير في طبيعة العدو الجديد واسلوب قتاله، حرمها من فرص تحقيق النصر الحاسم في الميدان، وبالتالي لم تعد قادرة على اقتياد العدو إلى الانهيار الميداني، بعد أن تدمر له مصادر قوته وتجهز على قواته القتالية الاساسية. ثم أنها باتت على يقين أن قتالاً مع عدو منشئ على اساس عقائدي غيبي، لا يمكن النيل منه بالحرب النفسية أو اقتياده إلى الانهيار الادراكي، الذي يجعله يستسلم من غير قتال أو بعد الساعات الأولى للحرب.

أن قتالاً مع عدو منشئ على اساس عقائدي غيبي، لا يمكن النيل منه بالحرب النفسية أو اقتياده إلى الانهيار الادراكي

وبات عليها أن تختار بين الحرب المفتوحة التي تستطيع أن تبدأها ولا تستطيع أن تنهيها، وبين العمليات العسكرية المحدودة والنوعية، القابلة للتنفيذ بمدى قصير لا يتجاوز الاسابيع الثلاثة.

هذا وكانت اسرائيل في البدء وفي معرض إعادة النظر بعقيدتها القتالية أثر حرب 2006، طرحت فكرة الحرب لفصل كامل من ثلاثة اشهر أو 12 اسبوعاً، بدل الحرب الخاطفة والتي لا تتجاوز سقف اقصاه خمسة اسابيع، ولكن يبدو أن النقاش حسم في السنة الأخيرة، لصالح فكرة العملية العسكرية القصيرة ذات القدرات التدميرية العالية، وبات هدف الحرب الآن مختلفا عما كان سابقاً. وتغير من هدف الاحتلال والاخضاع والسيطرة، إلى هدف التدمير والانهاك والشلل، وهي أمور ترى اسرائيل أن الممكن تحقيقها بمهل قصيرة محدودة، عبر تكثيف استعمال ما لديها من قدرات نارية متعددة جواً وبحراً وبراً.

ومن جهة أخرى ترى اسرائيل وفي ظل الاخفاق في تأمين «المناعة المجتمعية» حتى الآن، ترى أن مصلحتها تكمن في عمل عسكري نوعي قصير المدى، من أجل أن تمنع وقوع مجتمعها ولفترات طويلة تحت النار، ما يدفعه إلى المسارعة إلى الهجرة المعاكسة، وإفراغ اسرائيل من طاقاتها الديمغرافية اليهودية.

6) تراجع نظرية «الردع الاسرائيلي الفعال» والاتجاه إلى ارساء نظرية «توازن الردع».

كانت الفكرة المركزية في العقيدة الاسرائيلية منذ أن اطلقها بن غوريون في العام 1948، كانت قائمة على نظرية «الردع الفعال التصاعدي»، وقد لعبت هذه الفكرة دوراً مركزياً في مسار اسرائيل، حيث أن العرب لم يبادروا إلى هجوم عليها إلا مرة واحدة عام 1973، ولم يمارسوا الدفاع الفعال الذي يمنع العدوان الاسرائيلي المنفذ بذهنية هجومية من تحقيق اهدافه في أي من الحروب التي خاضوها ضدها.

أن العرب لم يبادروا إلى هجوم عليها إلا مرة واحدة عام 1973

لكن هذا الأمر تغير في العقدين الأخيرين مع تغير طبيعة القوى العسكرية التي تواجه اسرائيل، قوى امتلكت من القدرات العسكرية ما يجعل اسرائيل ذاتها تقيم حساباً للمواجهة، ولا تتعامل مع الامر باستخفاف أو عدم اكتراث، مع امتلاك العدو قدرة الايلام أولاً وقدرات التفلت من القبضة الاسرائيلية المسيطرة ثانياً. وباتت المواجهة المحتملة محكومة إلى حد ما بتوازن الردع على جانبي حدود الصراع، وهذا ما أفقد اسرائيل حرية القرار السهل بشن الحرب الواثقة من الانتصار فيها.

7) التركيز على نظرية الفصل والعزل و«الدفاع خلف الجدران». في دلالة إلى تراجع نظرية الاحتلال والتوسع البري.

منذ أن اغتصبت فلسطين لم تؤمن اسرائيل بالحدود والخطوط المقفلة التي تحاصرها، وكان سلوكها محكوماً في هذا الشأن بأمرين: الأول توراتي كما تدعي وتقول فيه «**حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل**» والثاني ميداني عسكري تقول فيه «حدودنا حيث تصل جنازير دبابتنا». إما اليوم ومع المتغيرات التي طالت طبيعة العدو وقدراته، فقد تغير الوضع إلى الحد الذي حمل اسرائيل على اقامة جدار الفصل العنصري، الذي يفصل الارض المحتلة في العام 1948، عما تبقى من أرض فلسطينية احتلت في العام 1967، مع التفكير ايضاً بإقامة جدار مماثل لفصل سيناء عن فلسطين المحتلة، وتحصين وتفعيل السياجات الالكترونية والكهربائية على ما تبقى من خطوط حدودية.

لقد بات واضحاً ظهور النزعة الاسرائيلية إلى الانكفاء الميداني الجغرافي، واغلاق المناطق التي تحتلها وعزلها عن الخارج، خلافاً لما كانت تعتمده

سابقاً من ميدان مفتوح، يمكنها من الانطلاق إلى أرض الخصم بشكل خاطف وسريع لاحتلالها.

8) تصاعد الاعتماد على «القوة الناعمة» والدفع إلى «الحرب البديلة».

اسرائيل ومنذ قيامها، كانت ناشطة في مجال العمل الاستخباراتي لنشر الفتن والصراعات في المنطقة العربية والإسلامية

9) قد يكون هذا العنصر العامل الأهم في الاستراتيجية الاسرائيلية الجديدة. نقول هذا رغم علمنا الأكيد بأن اسرائيل ومنذ قيامها، كانت ناشطة في مجال العمل الاستخباراتي لنشر الفتن والصراعات في المنطقة العربية والإسلامية، وتنفيذ عمليات امنية من اغتيالات وسواها عبر الحدود. ومع ذلك فأن سلوكها اليوم تطور بشكل كبير إلى الحد الذي جعلنا نقول وبكل موضوعية، بأنها باتت تعتمد على «القوة الناعمة» اعتماداً اساسياً يتقدم على «القوة الصلبة».

ويمكن أن نجد خير دليل تطبيقي لهذا الأمر في ما يجري في سورية، حيث تشن العصابات المسلحة المرتبطة بالمشروع الصهيو ـ أميركي، تشن الحرب على الدولة وتنفذ كل ما تشتيه اسرائيل وتريده من تدمير للقدرات العسكرية السورية، إلى الحد الذي بات ممكناً وصف الأمر بأنه «حرب بديلة»، عن حرب تشنها اسرائيل بقواتها وجيشها، والاحتفاظ بالسلاح النووي وسلاح الدمار الشامل كسلاح ردع استراتيجي اقصى، مع تحرك بسيط خارج دائرة الغموض البناء حول السلاح النووي.

رغم أن اسرائيل لم تصرح وضوحاً حتى الآن بأمتلاكها «سلاح الدمار الشامل» خاصة السلاح النووي، الذي تمتلك منه في تقدير الخبراء كمية تتراوح بين 80 رأساً كحد أدنى، وقد تصل إلى 250 رأساً نووياً كحد اقصى، وتمارس بصدده ما يسمى «سياسة الغموض البناء»، حيث لا تنفي حتى لا تطمئن العدو، ولا تؤكد امتلاكها لهذا السلاح حتى لا تتسبب لنفسها بأحراج مع المجتمع الدولي، إلا أن اسرائيل المحت مؤخراً بشكل غير مباشر خاصة على لسان رئيس وزرائها اولمرت وبعد هزيمتها في العام 2006، إلى وجود هذا السلاح كدرع ستلجأ إليه في حال وصل التهديد إلى الحجم الذي يضع وجودها في الميزان. وكانت بعض الوسائل الإعلامية سربت في العام 1973، أنها كانت بصدد اللجوء إلى القنبلة الذرية لو لم تستطع احتواء الهجوم البري الذي نفذه الجيشان المصري والسوري. وفي

كل حال يبقى السلاح النووي الاسرائيلي عنصراً لا يمكن اسقاطه أو اغفال دوره وأثره في العقيدة العسكرية الاسرائيلية قديمها وجديدها.

10) تزايد الاعتماد على قوة عظمى فاعلة لضمان الدعم العسكري والسياسي.

منذ قيامها كانت اسرائيل تتكئ وتستفيد من دعم دولة عظمى أو أكثر، ولكنها طورت الوضع اليوم حتى جعلت أمنها ومصيرها جزءاً من الأمن القومي الأميركي، ولهذا تجاهر الولايات المتحدة صباح مساء بمدى التزامها بأمن اسرائيل، وحرصها على استمرار التفوق الاسرائيلي عسكرياً واستراتيجياً على كل اعدائها.

الخلاصة

إن دراسة تحليلية موضوعية للعناصر الجديدة للعقيدة العسكرية الاسرائيلية، تقود إلى القول بأن هناك تغير جذري أصاب هذه العقيدة، وقاد إلى تحول فرضته متغيرات جدية وبنوية في البيئة الاقليمية والدولية وفرضت على اسرائيل العودة إلى التحدي الاساسي وهو تحدي وجودي، ما فرض عليها اعتماد عقيدة عسكرية ذات طبيعة دفاعية إلى حد بعيد، تتمايز عن العقيدة الأصلية التي كانت ذات طبيعة هجومية نوعية، ونستطيع القول بأن اسرائيل وللمرة الأولى منذ قيامها، باتت تتحدث عن الدفاع الحقيقي وتعمل له وتعني ما تقول، بأنه تدابير دفاعية بخلاف الحال الذي كان قائماً قبل العقد الفائت، حيث أنها كانت تدعي الخوف على الذات وحاجتها للدفاع عن الوجود، وكانت تعمل اصلاً وفي كل الوجوه بذهنية هجومية ليس من أجل حفظ هذا الوجود العدواني، بل من أجل توسيع الفضاء الاستراتيجي وبسط النفوذ على كامل المنطقة، كما نظّر يوماً للأمر شمعون بيرس صاحب نظرية الشرق الاوسط الجديد.